بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

خُطْبَةُ الْجُمُعَةِ

شُرُوطُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ

١٠ يوليو ٢٠٢٦

الْخُطْبَةُ الْمَسْنُونَةُ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾

لَقَدْ رَبَطَ الْوَحْيُ الْإِلَهِيُّ سَعَادَةَ الْإِنْسَانِ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ. وَنَقْرَأُ هَذَا مِرَاراً فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، كَمَا فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ:

سورة النحل — آية ٩٧

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

وَكَمَا فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ:

سورة الكهف — آية ١٠٧

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾

إِنَّ الْآيَاتِ الَّتِي تَتَحَدَّثُ عَنِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ بِوَصْفِهِ شَرْطاً لِسَعَادَةِ الْإِنْسَانِ فِي حَيَاتِهِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ كَثِيرَةٌ، كَمَا تَعْلَمُونَ، غَيْرَ أَنَّ الْعَمَلَ لَا يَكُونُ صَالِحاً إِلَّا إِذَا تَحَقَّقَ فِيهِ شَرْطَانِ لَا بُدَّ مِنْهُمَا. الشَّرْطُ الْأَوَّلُ أَنْ يَكُونَ «مَشْرُوعاً» - مِمَّا أَمَرَ بِهِ

اللَّهُ تَعَالَى وَشَرَعَهُ وَأَحَبَّهُ. وَالشَّرْطُ الثَّانِي أَنْ يُبْتَغَى بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنْ يُقْصَدَ بِهِ التَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ وَنَيْلُ رِضَاهُ. فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِعَمَلٍ غَيْرِ مَشْرُوعٍ، فَلَنْ يَنَالَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى حُظْوَةً، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يُعَدَّ عَمَلُهُ صَالِحاً. وَمِعْيَارُ الصَّلَاحِ لَيْسَ فِيمَا يَتَصَوَّرُهُ الْإِنْسَانُ وَفْقَ أَهْوَائِهِ وَنَزَوَاتِهِ وَخَوَاطِرِهِ، بَلْ لَا يَتَحَقَّقُ الصَّلَاحُ إِلَّا وَفْقَ مِعْيَارِ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ- وَفْقَ مِعْيَارِ أَوَامِرِهِ وَتَوْجِيهَاتِهِ. وَكَذَلِكَ الْإِنْسَانُ الَّذِي يُؤَدِّي أَعْمَالاً صَالِحَةً مَشْرُوعَةً، لَكِنَّهُ يَبْتَغِي بِهَا مَصْلَحَتَهُ الْخَاصَّةَ، وَيُغَذِّي بِهَا أَهْوَاءَهُ وَنَزَوَاتِهِ وَمَقَاصِدَهُ الدُّنْيَوِيَّةَ- فَإِنَّ عَمَلَهُ لَا يَكُونُ بِذَلِكَ صَالِحاً، وَإِنْ بَدَا كَذَلِكَ. **هَذِهِ النِّيَّةُ تُشَوِّهُ الْعَمَلَ الصَّالِحَ وَتُحَوِّلُهُ إِلَى عَمَلٍ سَيِّئٍ.** وَكَمْ مِنْ أَعْمَالٍ هِيَ فِي ظَاهِرِهَا أَعْمَالٌ صَالِحَةٌ، لَكِنَّهَا بِسَبَبِ سُوءِ النِّيَّةِ تَحَوَّلَتْ إِلَى أَعْمَالٍ فَاسِدَةٍ. وَمَا قُلْتُهُ لَكُمْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ نُصْبَ عَيْنَيِ الْإِنْسَانِ وَهُوَ يَسْلُكُ طَرِيقَهُ إِلَى رِضَا اللَّهِ تَعَالَى.

وَأَهَمُّ هَذَيْنِ الشَّرْطَيْنِ، يَا عِبَادَ اللَّهِ، هُوَ الشَّرْطُ الثَّانِي. فَالشَّرْطُ الْأَوَّلُ وَاضِحٌ غَايَةَ الْوُضُوحِ. فَلَا يُوجَدُ إِنْسَانٌ عَرَفَ أُصُولَ **الْإِسْلَامِ** وَأَصْغَى إِلَى قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِلَى مَا قَالَهُ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِلَّا وَقَدْ عَرَفَ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَأَدْرَكَ الْفَرْقَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْأَعْمَالِ الْفَاسِدَةِ إِدْرَاكاً وَاضِحاً. وَمَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا وَيَعْلَمُ أَنَّ الْفَوَاحِشَ مِنَ الْأَعْمَالِ الْفَاسِدَةِ، وَأَنَّ الظُّلْمَ مِنَ الْأَعْمَالِ الْفَاسِدَةِ، وَأَنَّ سُوءَ الْخُلُقِ فِي مُعَامَلَةِ الْآخَرِينَ مِنَ الْأَعْمَالِ الْفَاسِدَةِ، وَمَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا وَيَعْلَمُ أَنَّ الْعِبَادَاتِ بِتَنَوُّعِهَا، وَأَنَّ ضُرُوبَ التَّقَرُّبِ وَالطَّاعَاتِ الْمُخْتَلِفَةَ الَّتِي يُبْرِزُهَا كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، مِنَ الْأَعْمَالِ الْمُبَارَكَةِ. وَيَسِيرٌ عَلَى الْمُسْلِمِ الْوَاعِي، الَّذِي يُصْغِي بَيْنَ الْحِينِ وَالْآخَرِ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَنْ يُدْرِكَ الْفَرْقَ بَيْنَ مَا هُوَ صَالِحٌ وَمَا هُوَ فَاسِدٌ مِنَ الْأَعْمَالِ، غَيْرَ أَنَّ **الشَّرْطَ الْأَخْطَرَ هُوَ أَلَّا يَقْصِدَ بِالْعَمَلِ الَّذِي يُؤَدِّيهِ إِلَّا نَيْلَ رِضَا اللَّهِ** تَعَالَى، وَلَا يَقْصِدَ بِهِ إِلَّا التَّقَرُّبَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَا يَقْصِدَ بِهِ إِلَّا امْتِثَالَ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَهَذَا الشَّرْطُ الثَّانِي بَالِغُ الصُّعُوبَةِ. وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ أَهْوَاءَ النَّفْسِ تَتَدَخَّلُ، وَأَنَّ مَصَالِحَ الْإِنْسَانِ الدُّنْيَوِيَّةَ تَتَدَخَّلُ، وَأَنَّ مَشَاعِرَ الْإِنْسَانِ تِجَاهَ الْآخَرِينَ- الَّتِي كَثِيراً مَا تَتَجَلَّى فِي الضَّغِينَةِ وَالْعَدَاوَةِ وَالْبُغْضِ- كُلُّ ذَلِكَ يَتَدَخَّلُ، فَسُرْعَانَ مَا تَنْقَادُ هَذِهِ الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ لِلنَّفْسِ وَأَهْوَائِهَا. فَيُصْبِحُ الْعَمَلُ صَالِحاً فِي ظَاهِرِهِ، لَكِنَّهُ يَتَحَوَّلُ- بِسَبَبِ النِّيَّةِ السَّيِّئَةِ الَّتِي اسْتَوْطَنَتِ النَّفْسَ- إِلَى عَمَلٍ فَاسِدٍ. وَعَنْ هَذَا الصِّنْفِ مِنَ النَّاسِ يَتَحَدَّثُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى إِذْ يَقُولُ:

سورة هود — آية ١٥-١٦

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

تَأَمَّلُوا، يَا عِبَادَ اللَّهِ، هَذِهِ الْعِبَارَةَ الدَّقِيقَةَ: «مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا». إِنَّ الْكَلَامَ الرَّبَّانِيَّ لَا يَتَحَدَّثُ عَنْ نَوْعِ الْعَمَلِ، بَلْ عَنِ النِّيَّةِ الَّتِي تَدْفَعُ إِلَى الْعَمَلِ. أَدْرِكُوا الْفَرْقَ. لَمْ يَقُلْ: «مَنْ يَعْمَلْ أَعْمَالاً فَاسِدَةً»- لَا، بَلْ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ». فَالْعَمَلُ الَّذِي يُؤَدِّيهِ قَدْ يَكُونُ فِعْلاً عَمَلاً صَالِحاً، قَدْ يَكُونُ فِي ظَاهِرِهِ أَمْراً بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْياً عَنِ الْمُنْكَرِ، غَيْرَ أَنَّهُ بِهَذَا الْعَمَلِ لَمْ يُرِدْ فِي الْحَقِيقَةِ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا. وَكَلِمَةُ «الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ شَامِلَةٌ- تَشْمَلُ النَّوَايَا النَّفْسِيَّةَ الْكَامِنَةَ فِي كِيَانِ الْإِنْسَانِ، وَتَشْمَلُ الْأَهْوَاءَ، وَتَشْمَلُ تَغْذِيَةَ الضَّغِينَةِ وَالْعَدَاوَاتِ، وَتَشْمَلُ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً جِدّاً. هَكَذَا يُخَاطِبُنَا الْكَلَامُ الرَّبَّانِيُّ مُحَذِّراً فِيمَا يَتَوَجَّهُ بِهِ إِلَيْنَا. **لَيْسَ الْعِبْرَةُ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ فِي ذَاتِهِ، بَلِ الْعِبْرَةُ بِمَا الَّذِي دَفَعَكَ إِلَى هَذَا الْعَمَلِ الصَّالِحِ- مَا هُوَ؟!** وَنُدْرِكُ الْمَعْنَى نَفْسَهُ أَيْضاً فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

سورة الكهف — آية ١٠٣-١٠٤

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ۝ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾

قَدْ يَكُونُ عَمَلُهُمْ فِعْلاً شَيْئاً نَرَاهُ فِي ظَاهِرِهِ حَسَناً، نَعُدُّهُ فِي ظَاهِرِهِ عَمَلاً مُبَارَكاً، وَهُوَ نَفْسُهُ يَعُدُّهُ عَمَلاً مُبَارَكاً بِسَبَبِ الْمَظْهَرِ الَّذِي اتَّخَذَهُ- غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَرُدُّهُ وَيَرْفُضُهُ. لِمَاذَا؟ لِأَنَّ الَّذِي دَفَعَهُ إِلَى هَذَا الْعَمَلِ كَانَ مَصْلَحَةً نَفْسِيَّةً خَاصَّةً، وَالَّذِي دَفَعَهُ إِلَى هَذَا الْعَمَلِ كَانَ هَوًى مِنْ أَهْوَاءِ النَّفْسِ الَّتِي نَعْرِفُهَا- **وَاللَّهُ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّباً.** وَلِذَلِكَ فَإِنَّ هَذَا الشَّرْطَ الثَّانِيَ هُوَ الَّذِي يَضِلُّ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ- بَلْ رُبَّمَا لَا يَضِلُّونَ، وَلَكِنَّ أَنْفُسَهُمْ تَغْلِبُهُمْ. كَثِيرُونَ هُمُ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ أَعْمَالاً هِيَ فِي ظَاهِرِهَا أَعْمَالٌ إِسْلَامِيَّةٌ، هِيَ فِي ظَاهِرِهَا ثَمَرَةُ غَيْرَةٍ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَثَمَرَةُ غَيْرَةٍ عَلَى حُرُمَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَثَمَرَةُ غَضَبٍ لِلَّهِ تَعَالَى- غَيْرَ أَنَّ كُلَّ ذَلِكَ لَا يَصِحُّ وَلَا يُحْسَبُ إِلَّا ظَاهِراً. فَإِذَا انْتَقَلْنَا مِنَ الظَّاهِرِ إِلَى الْبَاطِنِ، سُرْعَانَ مَا نَجِدُ أَنَّ الْأَمْرَ قَدْ تَغَيَّرَ وَانْقَلَبَ إِلَى ضِدِّهِ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَعْمَالَنَا كُلَّهَا صَالِحَةً، وَاجْعَلْهَا خَالِصَةً لِوَجْهِكَ وَحْدَهُ، وَلَا تَجْعَلْ لِأَحَدٍ فِيهَا نَصِيباً.
اللَّهُمَّ قِنَا الرِّيَاءَ وَأَهْوَاءَ النَّفْسِ، وَوَفِّقْنَا لِمَا تُحِبُّهُ وَتَرْضَاهُ. آمِينَ.